الفصل الخامس
مواقف وحوارات فى أرض الحساب

- حوار بين الله سبحانه وجميع الرسل.
- حوار بين الله سبحانه وعيسى.
- حوارات مع الجن والإنس.
- حوار مع الذين كذبوا بآيات الله.
- حوارات مع الذين كذبوا على الله.
- حوار مع الذين أجرموا.
- حوارات مع الذين أشركوا.
- مواجهات بين المشركين والذين اتخذوهم ألهه.
- حوار مع الذين عبدوهم من دون الله.
- حوار بين الله سبحانه والملائكة.
- دعوة للسجود.
- مواقف الجدال والخصام بين الأتباع والمتبوعين.
- حوارات وردت فى الأحاديث النبوية.
- المرور على الصراط.
- الحوض.
- أصحاب الأعراف.

obeikandl.com

obeikandl.com

مواقف وحوارات أرض الحساب

عندما تتجمع كل الخلائق من ملائكة، وإنس، وجن منذ بداية الخليقة حتي قيام الساعة وقد اصطفت فى أرض الحساب للعرض على الله سبحانه ﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا ﴾ الكهف:٤٨ وظهرت الجنة والنار ليراهما أهل المحشر، هنالك يتذكر كل إنسان ما عمله فى الدنيا من خير أو شر ويسترجع شريط حياته كاملا بكل ما فيه، ويتذكر أيضا أن الله سبحانه وتعالى قد أخبره عن طريق رسله وكتبه أن هناك حياة آخره يكافئ فيها الله المطيع ويجازى المسيء **قال تعالى** ﴿ وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ الفجر:٢٣ عندئذ يندم كل عاص حيث لا ينفع الندم على تفريطه وعصيانه، ويقول متحسرا:

﴿ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴾ الفجر:٢٤، أى يا ليتنى أدركت أن حياتى فى الدنيا ما هى إلا مرحلة وسرعان ما تنتهى، وأن حياتى الحقيقية التى ينبغى أن أعمل من أجلها، وأتزود لها بالإيمان والعمل الصالح تبدأ فى الحياة الآخرة.

وتشهد ساحة العرض علي الله سبحانه العديد من المواقف والحوارات بين الله سبحانه وتعالى وجميع الأمم، حيث يقص سبحانه وتعالى على كل واحد من عباده بالتفصيل بما قاله وبما عمله فى الحياة الدنيا حتى ولو كان شيئا بسيطا، لأنه تعالى الشهيد على كل شئ لا يغيب عنه شئ بل هو العالم بخائنة الأعين وما تخفى الصدور **قال تعالى** ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾ الأعراف:٧.

وفيما يلى استعراض لبعض هذه المواقف والحوارات كما أخبرنا عنها القرآن الكريم مع مراعاة أن الله أعلم بالترتيب الزمنى لتلك المواقف والحوارات وأيهم يسبق الآخر:

لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ

قال تعالى ﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ ﴾[1] غافر: ١٦-١٧ .

فى أرض الحساب حيث يتلاقى العباد جميعا مع الخالق ليحاسبهم على أعمالهم، يراهم الحق سبحانه، ويرون بعضهم بعضا، لا شئ يكنهم ولا يظلهم، ولا يسترهم شئ من جبل أو بناء ولايخفى على الله سبحانه شئ من أحوالهم وأعمالهم، ولا من سرائرهم، ينادى الله سبحانه: ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ﴾ ؟

فلا تجيب الخلائق هيبة لله تعالى وفزعا، فيجيب تعالى نفسه قائلا﴿ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ أى لله المتفرد بالملك والحكم الذى قهر بالغلبة كل ما سواه، ويحدد عز وجل الملامح الرئيسية لهذا اليوم وهى:

- ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ أى اليوم يوم القضاء والفصل بين العباد حيث تجازى كل نفس بما عملت من خير أو شر.
- ﴿ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ﴾ أى لن يظلم أحد فى هذا اليوم شيئا، لا بنقص الثواب، ولا بزيادة عقاب.
- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ أى مهما بلغت الأعداد سيتم الحساب بسرعة، ولا يشغله شأن عن شأن، فيحاسب الخلائق جميعا فى وقت واحد كما كان يرزقهم فى وقت واحد.

حوار بين الله سبحانه وجميع الرسل

مَاذَآ أُجِبْتُمْ ؟

قال تعالى ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ المائدة: ١٠٩.

لقد أخبرنا الحق سبحانه فى القرآن الكريم أنه سيسأل يوم الحساب جميع الرسل عليهم السلام المتصفين بالصدق منذ آدم حتى محمد صلى الله عليه وسلم: هل بلغوا الرسالة ووضحوا منهج الله للأمم الذين أرسلوا إليهم؟ **قال تعالى** ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ الأعراف: ٦، فها نحن الآن فى الآخرة وعلى مرأى ومسمع من جميع المخلوقات التى اجتمعت فى أرض الحساب، يتحقق الخبر ويصدق الله سبحانه وعده ويتم سؤال الرسل عليهم السلام:

﴿ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ؟﴾ أى كيف كانت استجابة قومكم إلى المنهج الذى دعوتهم إليه؟ وفى هذا تقريع واستهزاء للذين خالفوا الرسل ممن يشهدون اللقاء.

كان من المتوقع أن يقص كل رسول بما أجابه قومه، ويعرض ما لقيه من مشقة وعنت فى تبليغ الدعوة، ولكن جاءت الإجابة تعكس مدى تميز هؤلاء الرسل بمعرفتهم بالله سبحانه وتعالى فكان الجواب:

﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ لأن معرفة الله شاملة وعلمه قد وسع كل شئ، فالرسل بشر لهم علم ما حضر، وليس لهم علم ما استتر، لقد دعوا أقوامهم إلى الهدى فاستجاب لهم من استجاب، وتولى منهم من تولى، وما يعلم الرسول حقيقة من استجاب إن كان يعرف حقيقة من تولى، فإنما له ظاهر الأمر وعلم ما بطن لله وحده، وهم فى حضرة الله سبحانه الذى يستحيون أن يدلوا بحضرته بشىء من العلم وهم يعلمون انه الخبير العليم فيعلنون أن العلم الحق لله وحده، وأن ما لديهم من علم لا ينبغى أن يدلوا به فى حضرة صاحب العلم تأدبا وحياء ومعرفة بقدرهم. ولكن كيف يقول الرسل ﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ ﴾ على الرغم من أن هناك من استجاب لدعوتهم ومن لم يستجب لها ؟ يقول الشيخ الشعراوى (لأن الآخرة فيها

حساب على نوايا القلوب والسرائر، لقد علم الرسل الأمور العلنية من أقوال وسلوك، ولكن الحق يحاسب على حسب النية والسلوك، وهو سبحانه الأعلم بالسرائر وما تخفى الضمائر وأيضا فالرسل قد علموا الذين آمنوا بالمنهج وكانوا معاصرين لهم، ولكن ليس لهم علم بمن كفر أو آمن بعد أزمنتهم) [٢].

obeikandl.com

حوار بين الله سبحانه وعيسى

ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ؟

قال تعالى ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾ **المائدة: ١١٠ – ١١٩.**

لقد أخبرنا الله سبحانه فى كتابه العزيز أن عيسى سيشهد على قومه يوم القيامة **قال تعالى** ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ النساء:١٥٩، وها هو الخبر يتحقق عندما يذكر لنا القرآن الكريم مثالا للحوار الذى يدور بين الله سبحانه وتعالى وجميع الرسل ممثلا فى ذلك الحوار الرائع مع عيسى عليه السلام لأن بعض الذين آمنوا به قد وضعوه فى موضع الألوهية أو بنوة الألوهية، وفى ذلك تعد على التنزيه المطلق للحق سبحانه وتعالى ويقدم الحق سبحانه السؤال لعيسى ابن مريم بعد أن يذكره بعدد من النعم التى أنعم بها سبحانه عليه وعلى أمه مريم عليه وعليها السلام ويستعرض المعجزات التى أتاها الله إياه ليصدق الناس برسالته، فكذبه من كذبه منهم أشد التكذيب وأقبحه وفتن به وبالآيات التى جاءت معه من فتن، وألهوه مع الله من أجل هذه الآيات، وهى من صنع الله الذى خلقه وأرسله وأيده بالمعجزات.

ففى البداية (يعدد الله سبحانه بعضا من نعمه على عيسى ابن مريم وهى: التأييد بروح القدس وهو جبريل عليه السلام، والكلام فى المهد بما يبرئ أمه مما ألصقوه بها من اتهامات وتعليم الله له الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل، وأنه سبحانه قد أقدره على أن يصنع من الطين كصورة الطير بإذن منه سبحانه، وأن ينفخ فيه فيصير طيرا بإذنه سبحانه، وكذلك أقدره الله سبحانه أن يبرئ الأعمى من العمى، وأن يعيد إلى الأبرص لون جلده الطبيعى ويشفيه وأجرى على يديه تجربة إعادة الموتى إلى الحياة بإذن منه سبحانه، وكذلك صد الله سبحانه عن عيسى ابن مريم كيد اليهود، وكف أيدى الذين أرادوا صلبه وقتله على الرغم أنه جاء لهم بالمعجزات السابقة حتى يؤمنوا فآمن بعض منهم وكفر الذى قال عن تلك المعجزات إنها مجرد سحر) [٣] ويجب أن نلاحظ أن سرد النعمة على الرسول ليس المقصود منه تنبيه الرسول إلى النعمة فالرسول يعلم النعم جيدا لأنها جرت عليه، ولكنه تقريع لمن رأى هذه الأحداث والنعم ولم يلتزم الإيمان بالله وبعيسى كرسول من عند الله.

بعد ذلك يسأل الله سبحانه وتعالى عيسى مناديا إياه يا عيسى ابن مريم لتأكيد على بشريته: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ؟ ﴾ وهو ليس سؤال من يريد أن يعلم فسبحانه عليم بكل شئ، ولكنه سؤال ليقرر السائل المسئول ليكون ذلك حجة على من قال بألوهية عيسى أو بنوته لله، وكذلك ليكون تقريع وتوبيخ وتأنيب لمن قالوا عن عيسى ما لم يبلغهم إياه. ويبدأ عيسى ابن مريم إجابته:

﴿ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ﴾ نلاحظ أن عيسى عليه السلام استهل الإجابة بكلمة "سُبْحَـٰنَكَ" لتنزيه الله سبحانه أن يشابه خلقا من خلق الله، فهو يعلم أن الرسول المصطفى من الله ليس له أن يقول إنه إله، ويستكمل عيسى ابن مريم إجابته بقضية متفق عليها:

﴿ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ فهو سبحانه يعلم غيب كل واحد من خلقه وغيب كل ما فى كونه، وبذلك يكون رد عيسى عليه السلام ردا يستوعب كل مجالات الإنكار على الذين قالوا مثل هذا القول ويعرض عيسى عليه السلام المنهج الذى جاء به إلى الناس جميعا وبلغه تمام البلاغ:

﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ أى أنه لم يبلغ إلا ما أمر به الله سبحانه وأنه عبد لله ورسوله، وأنه مجرد شهيد على قومه فى زمن وجوده بينهم، ولكن بعد أن توفاه الله فالرقابة على القوم تكون لله، فالحق سبحانه شهيد ورقيب دائما. ويختم عيسى عليه السلام إجابته:

" إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ " نلاحظ أن عيسى ابن مريم لم يأت باعتذار أو طلب الرأفة والحنان من الله سبحانه على الذين كفروا وأشركوا به، فالعزيز الحكيم هو الذى لا يغلب على أمره ولا تسيطر عليه قوة، فهو القادر العزيز إن شاء غفر لهم فلا راد لمشيئته.

حوارات مع الجن والإنس

"أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ"

قال تعالى ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (٤) يس: ٦٠-٦٤.

تمتد جذور هذا الموقف إلى المرحلة التى خلق فيها آدم، والإشارة إلى العداوة التى يكنها إبليس لآدم وذريته عندما أمره الله سبحانه وتعالى أن يسجد لآدم ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ ﴾ الإسراء: ٦١-٦٣ فى هذا الموقف يوجه الله سبحانه وتعالى اللوم إلى الذين عصوه من الإنس وأطاعوا الشيطان بالرغم من أنه سبحانه قد حذرهم من عداوة إبليس لهم قائلا:

﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ أى ألم أوصيكم وآمركم يا بنى آدم على ألسنة رسلى، ألا تعبدوا الشيطان بأن تطيعوه فيما دعاكم إليه من معصيتى ومخالفة أوامرى، وأوضحت لكم أنه عدو لكم ظاهر العداوة، فكيف يطيع الإنسان عدوه؟ إشارة إلى **قوله تعالى** ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ البقرة:١٦٨، **وقوله تعالى** ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ الإسراء:٥٣ **وقوله تعالى** ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ فاطر:٦، **وقوله تعالى** ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ النساء: ١١٩.

ويضيف الحق سبحانه:

"وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ" وقد أمرتكم أن تعبدونى ولا تشركوا بى شيئا مبينا لكم أن هذا هو الدين الصحيح والطريق الحق المستقيم، إشارة إلى قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ البقرة: ٢١.

ويضيف الحق سبحانه:

﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ.﴾ ورغم ذلك لقد أضل منكم الشيطان الكثير، أما كان لكم عقل يردعكم عن طاعة الشيطان ومخالفة أمر ربكم؟ وزيادة فى التوبيخ يبشرهم سبحانه بما ينتظرهم من العذاب قائلا:

﴿ هَـٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ * ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ هذه جهنم التى أوعدكم بها الرسل ولكن كذبتم بها فذوقوا اليوم حرارتها وقاسوا أنواع عذابها نتيجة كفركم فى الحياة الدنيا ليتحقق وعد الحق سبحانه وتعالى لهم وهم فى الحياة الدنيا ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ التوبة: ٦٨.

رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ

قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾[٥] الأنعام: ١٢٨-١٢٩.

فى ساحة العرض حيث جمع الله سبحانه الثقلين الإنس والجن يقول لهم:

﴿ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ أى قد أضللتم الكثير من الإنس وقدتوهم إلى الفساد والمعصية، هذا الخطاب يقصد به تسجيل جريمة إغواء هذا الحشد الكبير من الإنس كما يقصد به التأنيب على هذه الجريمة التى تتجمع قرائنها فى هذا الحشد المحشود، لذلك لا يجيب الجن على هذا القول بشىء، ولكن الذين أطاعوهم من الإنس يعترفون ويقرون بأن كل فريق أستمتع بالأخر:

﴿ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ﴾ الجن أستمتع بأن قاد الإنسان إلى المعصية، وأستمتع الإنس بمتعة المعصية، فلقد كانت شركة على الاستمتاع يهيئ الشيطان للإنس المتاع فى مقابل الولاء والأتباع حتى جاء الأجل وهو جواب يكشف عن طبيعة الغفلة والخفة فى هؤلاء الأتباع ويصدر الحق سبحانه وتعالى حكمه على العاصين من الجن والإنس:

﴿ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ أى أن النار منزلكم ومقامكم خالدين فيها إلا ما شاء الله الحكيم العليم، ففيكم من سيعفو عنه الله سبحانه ويرحمه ويغفر ذنوبه ولن يدخله النار بفضله مصداقا لقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ النساء:٤٨، ومنكم من سيدخله الحق سبحانه النار ولكن لن يخلد فيها، ومنكم من سيخلد فى النار أبدا. فالحق سبحانه حكيم فى أن يعذب، عليم بمن يستحق أن يعذب ومقدار عذابه، وعليم بمن يستحق أن يثاب وينعم، ومقدار ثوابه ونعيمه، وحكيم أن يرحم.

وكما أستمتع الإنس والجن بعضهم ببعض إضلالا وإغواء، وطاعة وانقياد، نجعل من بينهم ولاية ظالم على ظالم، فيسلط الله سبحانه بعض الظالمين على بعض بسبب اقترافهم للمعاصى والذنوب ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ لذلك إذا أراد الحق سبحانه أن يؤدب ظالما يأتى له بظالم مثله ليؤدبه.

أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَتِى ؟

قال تعالى ﴿ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ ﴾ [٦] الأنعام: ١٣٠.

ويوجه سبحانه السؤال لكل من الجن والإنس:

﴿ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ﴾ أى ألم تأتكم رسل منكم وضحوا لكم رسالتي وأنذروكم وأخبروكم عما سيلاقيه الكافرون من العذاب الشديد فى هذا اليوم؟ إشارة إلى تحذيره لهم سبحانه وتعالى فى الحياة الدنيا ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَتِى ۙ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ الأعراف:٣٥-٣٦

وتأتى الإجابة من الجن والإنس: ﴿ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ﴾ أى لم يجد الكافرون من الفريقين إجابة إلا الاعتراف بكفرهم إذن فقد شهدوا على أنفسهم، ولكن ما الذى منعهم من الإيمان ؟ تأتى الإجابة من الحق سبحانه: ﴿ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ ﴾ أى أنهم اغتروا بالحياة الدنيا ولذاتها الفانية وأعرضوا عن الإيمان بالله. نلاحظ هنا أن السؤال موجه للمكلفين فقط من المخلوقات وهم الإنس والجن، ومنا من يسأل لماذا يسألهم سبحانه وتعالى وهو يعلم الإجابة مسبقا؟ سؤاله سبحانه ليس الغرض منه الاستفهام، بل الإقرار والاعتراف والتوبيخ فالاعتراف سيد الأدلة .

حوار مع الذين كذبوا بآيات الله

" أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا "

قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [٧] النمل:٨٣-٨٥.

على مرأى ومسمع من جميع الأمم يأمر الله سبحانه وتعالى الملائكة بجمع وإحضار مجموعة تمثل الجاحدين المكذبين لآيات الله ورسله من كل أمة من الأمم، (لعلهم هم رؤساء الشرك والإلحاد فى كل أمة) الذين ضلوا وأضلوا قومهم فأنكروا قضية الإيمان بالله وكذبوا الرسل بدون فكر وتدبر فقد شغلتهم الدنيا بما فيها، حيث تسوقهم الملائكة بقسوة وعنف مثل قطيع الحيوانات، فإذا اجتمعوا أمام الذين أطاعوهم وصدقوهم يقول لهم عز وجل توبيخا: " أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ "؟ أى أكذبتم بآياتي من غير فكر ولا تدبر؟ وما هو العمل الذى أخذ كل وقتكم وشغلكم عن أن تتفكروا وتبحثوا فى قضية الإيمان بالله باعتبارها أهم شئ فى حياة الإنسان؟ إشارة إلى **قوله سبحانه تعالى** ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ يونس:٣٩ فلم يستطع المكذبون الرد وبهتوا فلم يكن لديهم إجابة وقامت عليهم الحجة وحق عليهم العذاب بسبب ظلمهم بتكذيبهم آيات الله وسكتوا فقد شغلوا بالعذاب عن الكلام. يا ترى ما هو شعور الذين اتبعوهم وهم يشاهدون قادتهم فى هذا الموقف؟

حوارات مع الذين كذبوا على الله

" وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ "

قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾[٨] الأنعام:٩٤.

يدل سياق الآيات السابقة أن هذا الموقف خاص بالذين كذبوا على الله سبحانه ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ الأنعام:٩٣ حيث اغتر الذين كفروا بكثرة الأموال والأولاد، بالرغم من تحذير سبحانه لهم بأنها لن تفيدهم ولن تدفع عنهم العذاب ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ آل عمران:١٠، وأنهم سيأتون للسؤال والحساب يوم القيامة فرادى ﴿ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴾ مريم:٩٥ بلا مال ولا نصير ولا معين، ويصل بهم الشرك منتهاه عندما يزعمون أن الأصنام التى يعبدوها من دون الله ستشفع لهم عند الله ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ يونس:١٨، فعندما يقف هؤلاء المشركون أمام الحق سبحانه للحساب نسمع قوله عز وجل لهم:

" وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ " أى لقد جئتمونا للحساب منفردين عن الأهل والمال والولد حفاة عراة كما خلقناكم أول مرة، كل منهم مهموم بنفسه لا ينشغل إلا بها يتمالكه شعور بالوحدة بالرغم من وجوده فى تلك الأعداد الهائلة.

" وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ " أى وتركتم ما أعطيناكم من مال وأتباع وجاه وسلطان فى الدنيا فلم تنفعكم فى هذا اليوم العصيب.

" وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا " أى وأين هم آلهتكم الذين زعمتم أنهم يشفعون لكم، والذين اعتقدتم أنهم شركاء لله فى استحقاق العبادة، ما لنـــا لا نراهم معكم فى هذا اليوم لكى ينقذوكم مما أنتم فيه، ويدفعوا عنكم هذا العذاب.

" لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ " أى لقد تقطع وصلكم وتشتت جمعكم، وضاع وتلاشى ما زعمتم من الشفعاء والشركاء، فكل من جعلوه شريكا مع الله ســيفر منهم يوم القيامة.

obeikandl.com

أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ

قال تعالى ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [٩] هود: ١٨- ١٩.

يؤكد سبحانه وتعالى أن ليس هناك من هو أظلم ممن افترى على الله الكذب، فجعل له سبحانه شركاء، أو زعم أن الله قد بعثه نبيا، أو أدعى أنه سينظم كلاما يماثل ما أنزل الله أو حلل حراما وحرم حلالا، فالكذب على الله أعظم الذنوب. فعندما يعرض هؤلاء الذين افتروا على الله الكذب صفا أمام الله سبحانه، ويظهر الحق ما كان خافيا منهم، ويكشف سبحانه الناس أمام بعضهم البعض، وأمام أنفسهم، ويغشاهم الخزى والخجل والمهانة، فما يكون من الأشهاد الموجودين فى ساحة العرض وهم: الملائكة التى كانت تلازمهم فى الحياة الدنيا، والأنبياء الذين بلغوهم منهج الله، وأيضا المؤمنون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلا أن يشهروا بهم ويلعنهم قائلين:

" هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ " أى أن هؤلاء الذين افتروا على الله الكذب، وكفروا بالله وآياته ورسله، وصدوا غيرهم عن الإيمان بالله وأنكروا الرسالة والرسول قد بلغوا المنهج، وبلغوا أيضا أن إنكار هذا المنهج وإنكار هذا الرسول هو الجريمة الكبرى، وأن عقوبة هذا الإنكار هى الخلود فى النار، ومادامو قد كذبوا على الله فلابد أن يطردهم من رحمته. وصدق سبحانه **وتعالى الذى قال** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ البقرة: ١٥٩ **وقال تعالى** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ البقرة:١٦١.

حوارات مع الذين أجرموا

" رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا "

قال تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [١٠] السجدة: ١٢-١٤.

عندما يقف المجرمون أمام الحق سبحانه ناكسوا الرءوس، لا ترتفع جباههم خجلا وحسرة وندامة يلفهم الخوف والفزع يقولون فى حسرة وألم:

" رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا " أى لقد رأينا وسمعنا وأدركنا إدراكا تاما ما كنا ننكره من أمر الرسل، التى أخبرتنا أن نعبد الله ولا نشرك به، وأن هناك بعث ونشور، وحياة أخرى بعد الموت يثاب فيها المطيع، ويجازى فيها المسئ، وتيقنا من أن وعدك حق ولقاءك حق.

ونتساءل لماذا قالوا " رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا " ألم يكن لهم بصر وسمع فى الحياة الدنيا؟ بلا ولكن سيطرت عليهم الغفلة فكان لهم قلوب لا يفهمون بها الحق، ولهم أعين لا يبصرون بها آيات الله، ولهم أذان لا يسمعون بها كلام الله إشارة إلى **قوله تعالى** ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ الأعراف:١٧٩.

ويتمنوا العودة إلى الحياة الدنيا قائلين :

" فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ " أى ردنا إلى الحياة الدنيا، ولتعطينا فرصة أخرى لكى نعبدك ونطيع جميع أوامرك فنحن الآن مصدقون تصديقا جازما.

ويأتى رد الله سبحانه عليهم:

" وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا " أى أنه سبحانه لا يحتاج إلى إيمانهم، لو أراد عز وجل هداية جميع الخلق لفعل، ولكن ذلك ينافى حكمته، لأنه يريد منهم الإيمان عن اختيار لا عن إكراه وإجبار.

" وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ " أى أنه سبحانه وعد- ووعده حق- بعذاب المجرمين، وأن يملأ جهنم بالعاصيين من الجن والإنس أجمعين. وينتهى الحوار بإصدار الحكم عليهم متضمنا الحيثيات:

" فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ " أى ذوقوا عذاب جهنم الأليم بسبب نسيانكم الدار الآخرة وانغمازكم فى الشهوات، وأننا نتركك فى العذاب إلى الأبد، كما تركتم العمل بآياتنا فالعذاب من جنس العمل.

فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ ؟

قال تعالى ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ (١١)

الأعراف: ٥٣.

عندما يشاهد الذين لم يؤمنوا بالقرآن الكريم وتركوا العمل به أهوال يوم القيامة، ويتحقق لهم صدق ما أخبر به الرسل من الوعد والوعيد، يقرون ويعترفون قائلين: " قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ " أى أنهم يعترفون بأن رسل الله قد بلغتهم الرسالة فلم يؤمنوا بهم ولم يتبعوهم بالرغم من تحقق لهم صدقهم، أى أنهم سيقرون بالإيمان لحظة لا ينفعهم ندم ولا إيمان فالإيمان يكون بالغيب لا بالمشاهدة، ويتساءلون فى حسرة وألم عن من يشفع لهم: " فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ " أى هل لنا اليوم شفيع يخلصنا من هذا العذاب؟ وسيبحثون عمن يشفع لهم، لكنهم لن يجدوا، بل إن أول من يسخر من الذين عبدوا غير الله هم المعبودون أنفسهم ويتمنون من الله سبحانه أن يعطيهم فرصة أخرى قائلين:

" أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ؟ " أو هل لنا من عودة إلى الحياة الدنيا لنعمل صالحا غير ما كنا نعمله من المعاصى؟ وينتهى الموقف بالتعليق على هذه الأمانى:

" قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ " أى أنهم خسروا أنفسهم واستحقوا العذاب لعدم إيمانهم بالله، ولم ينفعهم ما كانوا يزعمون من شفاعة الآلهة والأصنام.

حوارات مع الذين أشركوا

" أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ "

قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾[٦٢]

القصص:٦٢ – ٦٦ .

يسأل سبحانه وتعالى المشركين على سبيل التوبيخ:

" أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ "؟ **أى أين هؤلاء الشركاء والآلهة والأصنام والأنداد التى عبدتموهم وأطعتموهم من دونى، وزعمتم أنهم ينصرونكم ويشفعون لكم؟ إشارة إلى قوله سبحانه** ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ يونس: ١٨ **فيسارع رؤساؤهم وزعماؤهم الذين ضلوا قومهم على مدار العصور وزينوا لهم الباطل بالإجابة خوفا من أن يقال عليهم أنهم هم الآلهة التى عبدوها وأطاعوها من دون الله، لأن جزاء أنهم أضلوا قومهم أخف وأهون من جزاء أدعاء الألوهية، فيعترفون قائلين:**

" رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا" **أى ربنا هؤلاء أتباعنا الذين أضللناهم عن سبيلك، لقد أضللناهم كما ضللنا نحن من قبل. وبعد هذا الاعتراف الصريح يقولون:**

" تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ " **أى يتبرءون إلى الله من عبادة قومهم لهم عندما أطاعوا أوامرهم، لأنهم كانوا يعبدون أهواءهم وشهواتهم.**

فيقول سبحانه وتعالى لهم:

" ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ " ؟ أى ادعوا شركاءكم الذين عبدتموهم فى الحياة الدنيا لكى تنجيكم وتمنع عنكم العذاب. ماذا يكون موقف المشركون؟ إنهم أبصروا الآن الحقيقة كاملة وعرفوا أنه إله واحد لا إله إلا هو، أنه موقف يشابه موقف الذى يشرف على الغرق ولكن يريد أن يتعلق بأى شىء، وليكن فليجربوا أخر شئ لديهم فليدعوا شركاءهم لكى يخلصوهم من هذا الكرب ويدفعوا عنهم عذاب الله " فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ " أى تتعالى الأصوات لدعوة الآلهة لكى تنقذهم، وعندما لا يجيبهم احد وأمام هذا العذاب الذى ينتظرهم لم يكن لديهم إلا الندم. " وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ " أى وأخيرا رجعوا إلى الحق وندموا وتمنوا حين رأوا العذاب لو أنهم أمنوا وكانوا مهتدين فى الحياة الدنيا. ويسألهم سبحانه وتعالى:

" مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ "؟ هل صدقتموهم أم كذبتموهم؟ ولكن ماذا يقولون فقد فقدوا الحجج واختلطت عليهم الأمور فلم يعرفوا ما يقولون فهم حيارى واجمون لا يسأل بعضهم بعضا لفرط ما هم فيه من الدهشة والحيرة " فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ "

" فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ "

قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [١٣] الكهف: ٥٢- ٥٣.

فى هذا الموقف يقول سبحانه وتعالى للمشركين:

" نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ " أى أدعو شركائى ليمنعوكم من عذابى ويشفعوا لكم كما كنتم تزعمون إشارة إلى قوله سبحانه ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ يونس: ١٨. فاستغاثوا بهم فلم يغيثوهم، وهذا دليل آخر على حماقتهم فكان عليهم أن يعودوا إلى الحق ويعترفوا بما كذبوه، ولكنهم تمادوا فى طغيانهم ونادوهم لينقذوهم، ولكن آنى لهم ما يريدون فقد تقطعت بينهم الصلات، ثم جعل الحق سبحانه بينهم مكانا مهلكا، فلا الداعى يستطيع أن يلوذ بالمدعو ولا المدعو يستطيع أن ينتصر للداعى ولنفسه ويخبرنا سبحانه عن حالهم:

" وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا " أى عندما يرى المشركون النار وهى تتغيظ حنقا عليهم يتيقنون أنهم داخلوها لا محالة ولا يستطيعون الهرب منها.

" وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ "

قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [١٤]

الأنعام: ٢٢ – ٢٣.

عندما يقرع سبحانه المشركين فيحشرهم مع آلهتهم التى عبدوها من دون الله، وفى ذلك قمة الإهانة لهم ولتلك الآلهة، يسأل سبحانه وتعالى المشركين على سبيل الاستهزاء والتوبيخ فالاستفهام من العليم لا يقصد منه العلم، وإنما يقصد به الإقرار من المسئول:

" أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ "؟ أى أين هى الآلهة التى عبدتموها وأطعتموها وجعلتموها شركاء لله؟ لماذا لا يتقدمون لإنقاذكم من العذاب؟ يا ترى ماذا يكون ردهم وقد رأوا الحقيقة كاملة وعرفوا مصير أهل الأيمان وكيف تجاوز الله عن سيئاتهم ومدى النعيم الذى ينتظرهم، ومصير أهل الكفر والعذاب الذى ينتظرهم إلى الأبد، إنهم يريدون أن يفروا من هذا العذاب ولا مجال هنا لتقديم الأعذار والأسباب التى جعلتهم مشركين، فليكذبوا وينفوا عن أنفسهم تهمة الشرك بالله:

" وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ " لقد أفقدهم هول الموقف رشدهم ونسوا أنهم فى الآخرة حيث لا يخفى منهم خافية، فيحلفون لله تعالى كما كانوا يحلفون للمؤمنين فى الدنيا كذبا ويظنون أن حلفهم هذا سوف ينفعهم وينجيهم من العذاب كما نفعهم فى الدنيا، أى يقسموا بالله كذبا أمام الله أنه موقف غريب حقا، ولكن تلك هى عادتهم فى الحياة الدنيا، وصدق سبحانه وتعالى الذى **قال** ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ المجادلة:١٨.

" هَاتُوا بُرْهَـٰنَكُمْ " ؟

قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ [١٥] القصص:٧٤-٧٥.

على مدار العصور وتعاقب الأمم، نجد المشركين كلما دعاهم رسولهم إلى عبادة الله الواحد وترك عبادة الأصنام يقولون: ما نعبد هذه الآلهة والأصنام إلا ليقربونا إلى الله ويشفعوا لنا عنده **قال تعالى** ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ الزمر: ٣ وتوعدهم الحق سبحانه ﴿ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ النحل: ٥٦ فماذا يكون موقفهم يوم الحساب عندما يناديهم الحق سبحانه:

" أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ "؟ أى أين هؤلاء الشركاء والآلهة والأصنام والأنداد التى عبدتموهم وأطعتموهم من دونى، وزعمتم أنهم ينصرونكم ويشفعون لكم؟ وتحقيقا للعدالة المطلقة تحاسب كل أمة فى حضور رسولها ليكون بمثابة الشاهد عليهم " وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا "، ويطلب سبحانه منهم أن يوضحوا الحجج والبراهين التى دعتهم إلى الشرك بالله :" فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ "؟ فعدالة الله تأبى أن تعذبهم دون أن يدافعوا عن أنفسهم. لكن دائما لا إجابة لهذا السؤال. ويأتى تعليق الحق سبحانه فى نهاية الموقف:

" فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ " أى لقد علموا الآن وتيقنوا أن الحق لله ولرسله وأنه لا إله إلا الله ونسوا وغاب عنهم كل ما كانوا يتخرصونه فى الحياة الدنيا من حجج باطلة وأقوال زائفة طالما تشدقوا بها فى الحياة الدنيا وضلوا وأضلوا بها الكثير من قومهم.

ءَاذَنَّـٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ

قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّـٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ ﴾

فصلت:٤٧-٤٨.

ينادى الله سبحانه المشركين: " أَيْنَ شُرَكَآءِى " أى أين الذين زعمتم أنهم آلهة؟ فى المواقف الأخرى لم يكن لهذا السؤال إجابة عند المشركين فتارة ينفون عن أنفسهم أنهم مشركون وأخرى يصمتون ولا يتكلمون، ولكن فى هذا الموقف يقر المشركون ويعترفون قائلين: "ءَاذَنَّـٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ " أى أعلمناك وأخبرناك الآن بالحقيقة ما منا من يشهد بأن لك شريكا، فجميع الآلهة التى عبدوها واتخذوها شركاء لله فى الحياة الدنيا ليس لها وجود وتيقنوا الآن أنه لا مهرب ولا منقذ لهم من عذاب الله.

أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰقُّونَ

قال تعالى ﴿ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [١٦] **النحل: ٢٧.**

فى هذا الموقف حيث يذل سبحانه وتعالى المشركين ويهينهم ويفضحهم، ويقول لهم على سبيل التوبيخ: " أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰقُّونَ " ؟ أى أين هؤلاء الشركاء الذين كنتم تعادون من أجلهم أنبيائى ورسلى، أين هم الآن ليشفعوا لكم ويمنعوا عنكم العذاب.

دائما هذا السؤال ليس له إجابة، فالحقيقة انكشفت وانجلت معلنة لا إله إلا الله وحده لا شريك له فماذا يقول المشركون؟ ويسكت القوم من الخزى لتنطلق ألسنة الذين أوتوا العلم من أهل الموقف الأعظم من الملائكة والرسل والمؤمنين، وقد أذن الله لهم أن يكونوا فى هذا اليوم متكلمين ظاهرين حيث يقولون: " إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ " أى أن الذل والهوان والعذاب محيط اليوم بمن أشرك وكفر بالله.

مواجهات بين المشركين والذين اتخذوهم آلهة

" إِنَّكُمْ لَكَـٰذِبُونَ "

قال تعالى ﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [١٧] النحل:٨٦- ٨٧.

عندما يشاهد المشركون شركاءهم الذين كانوا يعبدونهم فى الحياة الدنيا، ويزعمون أنهم شركاء لله، فكأنهم وجدوا ضالتهم المنشودة، ومن يتحمل عنهم العذاب لأنهم هم الذين أضلوهم فقالوا معترفين بذنبهم وأملا فى تخفيف العذاب: " رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ". عندئذ يرتاع شركاؤهم للاتهام، ويسارعون فى تكذيبهم ونفى هذه التهمة الخطيرة عنهم قائلين: " إِنَّكُمْ لَكَـٰذِبُونَ " وصدق سبحانه وتعالى الذى **قال** ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ ﴾ مريم:٨١-٨٢.

والآن ما العمل بعد أن خاب ظنهم وأسقط الأمر فى يديهم: " وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ " أى ليس لهم سوى الاستسلام لحكم الله سبحانه بعد الآباء والاستكبار فى الحياة الدنيا وبعد أن ضاع أملهم فى أن آلهتهم ستشفع لهم عند الله.

" مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ "

قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَـٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [١٨]

يونس:٢٨-٣٠.

ففى ساحة العرض حيث الازدحام الشديد يجمع سبحانه وتعالى بين المشركين وبين الذين أتخذوهم ألهه من دون الله، ويواجه بعضهم ببعض لتكون الفضيحة تامة وعامة، بين عابد عبد باطلا، ومعبود لم يطلب من عابده أن يعبده مثال الملائكة والرسل، أو معبود لا علم لـه بمن يعبده مثال الشمس والقمر والأصنام أو معبود طلب من عابده أن يعبده مثال شياطين الإنس وشياطين الجن، يوجه الحق سبحانه الأمر للذين أشركوا والشركاء الذين عبدوهم من دون الله: " مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ " أى ألزموا مكانكم ولا تتحركون. ويتم التفريق بينهم " فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ " وينقطع كل ما كان بينهم من تواصل فى الحياة الدنيا، وهكذا يتلاقى من عبد الملائكة مع الملائكة، ويتلاقى من عبد رسولا وجعله إلها مع الرسول الذى عبده، ومن عبد صنما، أو عبد شمسا، أو عبد قمرا، أو عبد جنا، مع من عبدوهم. ويأذن الله سبحانه للذين اتخذوهم ألهه بالكلام لكى يدافعوا عن أنفسهم تلك التهمة الخطيرة: " وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ " وعلى الفور تبرؤا من المشركين قائلين ما كنتم إيانا تعبدون وما أمرناكم بعبادتنا، وصدق سبحانه وتعالى القائل ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ۝ ﴾ الأحقاف: ٥-٦ ويستشهدون بالله على صدق قولهم:" فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ " أى يكفى الله سبحانه شاهد على صدق قولنا فهو سبحانه الحق الذى لا تخفى عنه خافية.

وينهى الذين اتخذوهم ألهه من دون الله دفاعهم قائلين: "إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَـٰفِلِينَ" ما كنا عن عبادتكم لنا إلا غافلين لا نشعر بها ولا ندرى أنكم تعبدوننا. ويتحقق ما أخبر به الحق سبحانه من أن الآلهة التى يعبدوها من دون الله لينالوا بها الشرف سوف تتبرأ منهم ومن عبادتهم إياها، ويكونون لهم أعداء يوم القيامة ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ فاطر:١٤ وفى نهاية الموقف يبين لنا الحق سبحانه حالهم: " هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ " عندئذ تعرف كل نفس جزاءها، فالإنسان وقت النتائج يختبر نفسه بما كان منه حيث تنال كل نفس جزاء ما عملت بالعدل، ويرد الذين أشركوا إلى الإله الحق والمولى الحق سبحانه، أنهم كانوا مع الله أولا بالفطرة التكوينية المؤمنة، ثم أخذهم الشركاء وفى هذا اليوم يرجعون لربهم سبحانه وينتهى الموقف بخيبة أمل للمشركين فى أن ألهتهم ستشفع لهم عند الله سبحانه.

حوار بين الله سبحانه والذين عبدوهم من دون الله

ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَـٰٓؤُلَآءِ

قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَـٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَـٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ [19] الفرقان: ١٧ – ١٩.

فى هذا الموقف نتعرف بشىء من التفصيل على المواجهات التى تحدث بين المشركين وكل من عبدوهم من دون الله وقد اجتمعوا معا فى موقف واحد، فيقول تعالى للمعبودين:

" ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَـٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ؟ " أى هل أنتم دعوتم هؤلاء إلى عبادتكم أم هم ضلوا السبيل فعبدوكم من تلقاء أنفسهم – هذا الاستفهام الغرض منه توبيخ المشركين لأنه سبحانه يعلم كل شئ – فيجيب المعبودون من دون الله:

" سُبْحَـٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ " أى تنزهت يا الله عن الأنداد ولا يحق لنا ولا لأحد من الخلق أن يعبد غيرك ولا أن يشرك معك سواك، ويوضحوا السبب فى شرك المشركين:

" وَلَـٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا " أن شرك هؤلاء المشركين نتيجة كثرة النعم بكل صورها من مال وصحة وولد وغيرها التى تفضلت عليهم وعلى آبائهم بها، وبدلا من أن يشكروا الله على هذه النعمة أعرضوا عن ذكر الله والإيمان بما جاء به الرسل وكانوا قوما هالكين إشارة إلى **قوله تعالى** ﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَـٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ﴾ الأنبياء:٤٤ **وقوله تعالى** ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴾ الإسراء: ٨٣.

فيقول سبحانه للمشركين:

" فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا " أى فقد كذبوكم فى ادعائكم عليهم أنهم آلهة، وأنتم الآن لا تستطيعون دفع العذاب عنكم ولا نصر أنفسكم من هذا البلاء.

وينتهى هذا الحوار ببيان من الله سبحانه لجزاء كل من يشرك:

" وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا " أى أن من يظلم نفسه بالشرك نذقه عذابا شديدا.

obeikandl.com

حوار بين الله سبحانه والملائكة

أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ؟

قال تعالى ﴿ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٤٠ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ٤١ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يَمۡلِكُ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٖ نَّفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ٤٢ ﴾ [٢٠] سبأ: ٤٠ – ٤٢.

لكى نفهم أبعاد هذا الموقف جيدا لابد من العودة إلى الحياة الدنيا حيث يبين لنا القرآن الكريم أن من المشركين من عبد الملائكة بزعم أن ذلك برضى من الله سبحانه، وادعوا كذبا أن لو شاء الله ما عبدوا هؤلاء الملائكة، **قال تعالى** ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ ١٩ وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ٢٠ ﴾ الزخرف: ١٩–٢٠، كذلك بين لنا القرآن الكريم أن من المشركين من جعلوا الجن شركاء لله حيث أطاعوهم فى عبادة الأوثان، فماذا يحدث يوم القيامة وقد اجتمعت الملائكة مع الذين عبدوهم من دون الله؟ ففى ساحة العرض وقد حشرت جميع المخلوقات يسأل عز وجل الملائكة مشيرا إلى المشركين:

" أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ "؟ والاستفهام يراد به توبيخ المشركين فهو سبحانه يعلم أن الملائكة منزهون عما نسب إليهم. ويأتى رد الملائكة مثالا للأدب الكامل مع الله والعبودية الخالصة لله:

" قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ" أى تعاليت وتقدست يا ربنا على أن يكون معك إله أنت ربنا ومعبودنا الذى نتولاه ونعبده ونخلص له العبادة ونحن نتبرأ إليك منهم. هذا هو الشطر الأول من جواب الملائكة تنزيه لله وإقرار بالعبودية منهم.

ويأتى الشطر الثانى من الإجابة ليسجل شهادة الملائكة عليهم:

" بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ " أى أن هؤلاء المشركين كانوا يعبدون شياطين الجن الذين زينوا لهم عبادة غير الله فأطاعوهم إشارة إلى قوله تعالى ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ ﴾ الأنعام: ١٠٠. ويقول تعالى ردا على مزاعم المشركين:

" فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا " حيث لا ينفع العابدون ولا المعبدون بعضهم لبعض لا بشفاعة ولا بدفع العذاب والهلاك.

ويصدر الحكم عليهم: " وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ".

obeikandl.com

دعوه للسجود

يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ

قال تعالى ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٤٢ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ۝٤٣ ﴾ [٢١] القلم: ٤٢ – ٤٣.

حين يشتد الكرب والفزع يوم القيامة، وتظهر حقائق الأشياء وأصولها، يدعى الكفار والمنافقون للسجود لرب العالمين ليس تعبدا لله ولكن توبيخا وتعنيفا على تركهم السجود في الدنيا، وتحسيرا على تفريطهم في ذلك، وهنا نرى مشهدا في غاية الغرابة فعندما يهموا بالسجود يسلبهم الله عز وجل القدرة على السجود حيث تتصلب ظهورهم فلا يستطيعون السجود كي تزداد حسرتهم وندامتهم، ونراهم قد ذلت أبصارهم لا يستطيعون رفعها وتغشاهم الذلة والهوان، والحكمة من ذلك أنهم كانوا في الحياة الدنيا يدعون للسجود لله وهم أصحاء سالمون فيأبون لكفرهم وعنادهم.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقا واحدا) [٢٢] الساق في اللغة: الأمر الشديد، فيكون المعنى: يكشف عن الأمر الشديد.

مواقف الجدال والخصام بين الأتباع والمتبوعين

فى كل زمان ومكان وفى كل أمة من الأمم، ومنذ أن خلق الله سبحانه آدم وحتى قيام الساعة والبشر بينهم أتباع ومتبوعين، مستضعفين ومستكبرين، فريق يدعوا إلى عدم الإيمان ويزين الكفر والعصيان بشتى الحجج والبراهين وفريق أخر يتبعهم ويردد أفكارهم ليس عن اقتناع تام أو يقين ولكن لأنها تقابل هوى فى نفوسهم، واستعدادا لعدم الإيمان ومعصية لأوامر الله عز وجل، ولكن سرعان ما تنتهى الحياة الدنيا ويقابل كل منهم الآخر يوم الحساب ويرى هؤلاء وأولئك ما ينتظرهم من عذاب أليم في نار جهنم الماثلة أمامهم فيبدأ كل منهم فى إلقاء اللوم على الآخر فكل منهم يريد أن يبرئ ساحته أمام الله سبحانه حيث يحدث بينهم الكثير من مواقف الجدال والخصام يصورها لنا القرآن الكريم فى أكثر من موضع ويخبرنا عن نص الحوار الذى يدور بينهم.

لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ

قال تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [٢٣] سبأ:٣١ – ٣٣.

يخاطب الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه سلم: لو شاهدت يا محمد حال الظالمين المنكرين للبعث فى موقف الحساب وهم يلوم بعضهم بعضا ويؤنب بعضهم بعضا لرأيت أمرا فظيعا مهولا حيث يقول الأتباع للرؤساء:

" لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ " أى لولا إضلالكم لنا لكنا مؤمنين، فيرد عليهم الرؤساء متسائلين:

" أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ " أى أنحن منعناكم عن الإيمان بعد إذ جاءكم؟ لا ليس الأمر كما تقولون بل أنتم كفرتم من ذات أنفسكم، لأنكم مجرمون .

ويقول الأتباع للرؤساء:

" بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا " أى مكركم بنا وتزينكم الباطل لنا طوال الوقت هو الذى صدنا عن الإيمان ودعوتكم لنا أن نكفر بالله ونجعل له شركاء، هكذا يكيل كل فريق التهم للآخر، وينتهى الجدال المحتدم بينهم فكلا الفريقين على خطأ، ويشعران بالندامة والحسرة على كفرهم حين يرون العذاب ولكن لم يظهروها بل أخفوها على بعضهم البعض " وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ " وتوضع القيود والسلاسل فى رقابهم ويسحبون منها إلى جهنم جزاء كفرهم وإجرامهم " وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ".

لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ

قال تعالى ﴿ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾[٢٤] إبراهيم: ٢١.

في هذا الموقف من مواقف اللوم في ساحة العرض نرى الضعفاء الذين كانوا ذيولا للأقوياء، وهم ما يزالون في ضعفهم وقصر إدراكهم، وخور نفوسهم، يلجئون إلى السادة الكبراء والقادة الذين أضلوهم في الدنيا يسألونهم الخلاص من هذا العذاب، ويعتبون عليهم إغواءهم في الحياة الدنيا:

" إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ " ؟ أي كنا أتباعا لكم نأتمر بأمركم فهل أنتم دافعون عنا شيئا ولو بسيطا من عذاب الله .

فيجيبهم القادة وقد ذلت كبرياؤهم، وواجهوا مصيرهم، وقد ضاقت صدورهم بهؤلاء الضعفاء الذين لا يكفيهم ما يرونهم ما هم فيه من ذلة وعذاب، فيسألونهم الخلاص، وهم لا يملكون لأنفسهم خلاصا، ويذكرونهم بجريمة إغوائهم لهم حيث لا تنفع الذكرى، فما يزيدون على أن يقولوا لهم في سأم وضيق معتذرين:

" لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ " أي لو أخذ الحق سبحانه بإدينا في الحياة الدنيا إلى الإيمان لقدناكم إلي هذا الإيمان ولكن ضللنا طريقنا فأضللناكم.

ويقولون: " سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ " أي أنهم سواء جزعوا وتضرعوا أو صبروا وصمدوا فلن ينجيهم الله سبحانه مما هم فيه، فلا مهرب ولا منجى.

بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ

قال تعالى ﴿ ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [٢٥] الصافات: ٢٢ – ٣٤.

فى هذا الموقف وقد حشر الظالمون وأشباههم من العصاة والمجرمين مع الآلهة الذين عبدوها من دون الله تمهيدا لمحاسبتهم عما اقترفوه من آثام، يقال لهم على سبيل السخرية والتوبيخ:

" مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ " أى ما لكم لا ينصر بعضكم بعضا وأنتم جميعا فى حاجة إلى الناصر والمعين، ونراهم فى هذا الموقف وقد زال عنهم كل تكبر، واستسلموا وأصبحوا أذلاء منقادين يلوم كل منهم الأخر، حيث يقول الأتباع للمتبوعين:

" إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ " أى كنتم تأتوننا من منطلق القوة والقدرة وتزينون لنا الباطل وتصدوننا عن أتباع طريق الهدى. فيجيبهم الرؤساء:

" قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ " أى ليس الأمر كما تزعمون بل كانت قلوبكم منكرة للإيمان قابلة للكفر والعصيان، وما كان لنا عليكم من قوة وقدرة نقهركم بها على إتباعنا، بل كنتم مجرمين طاغيين، فلذلك استجبتم لنا، ويضيف الرؤساء قائلين:

" فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ " ووجب علينا جميعا وعيد الله لنا بالعذاب، فإننا لذائقون هذا العذاب لا محالة. مصداقا لقوله تعالى ﴿ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴾ سورة يونس: ٧٠.

وينتهى الحوار بقولهم:

" فَأَغْوَيْنَـٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَـٰوِينَ " أى زينا لكم الباطل ودعوناكم إلى ألغى لأننا كنا على غى وضلال، وفى نهاية الموقف يخبرنا سبحانه وتعالى أنهم مشتركون فى العذاب كما كانوا مشتركين فى الغواية وهذا هو مصير المجرمين " فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ * إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ".

يَـٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ

قال تعالى ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَـٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [٢٦] الزخرف: ٣٦ – ٣٩ .

فى هذا الموقف وقد جاء كل من أعرض عن عبادة الله سبحانه هو وقرينه من شياطين الجن أو الإنس الذى كان يوسوس له ويغويه فى الحياة الدنيا ويصده عن طريق الهدى والإيمان ويزين له الباطل فيحسب أنه على هدى وصواب، حيث يقول كل من أعرض عن عبادة الله سبحانه لقرينه:

" يَـٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ " أى يتمنى لو كان بينه وبين قرينه بعد ما بين المشرق والمغرب ويضيف قائلا بئس الصاحب أنت لأنك كنت سببا فى شقائى بتزينك الباطل لى.

يقول سبحانه وتعالى:

" وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ " أى لن يفيدكم اشتراككم فى العذاب ولا تجدون راحة التأسى التى يجدها المكروب فى الدنيا إذا رأى غيره قد أصابه مثل ما أصابه لأن المصيبة إذا عمت هانت.

لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا

قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾[٢٧] الفرقان: ٢٧- ٢٩.

كل ظالم يندم ويتحسر على نفسه لما فرط فى جنب الله، وعض اليدين هنا كناية عن شدة الندم والحسرة، ويقول:

" يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا " أى يا ليتنى اتبعت رسول الله وآمنت بما جاء به من عند الله فاتخذت معه طريقا إلى الهدى ينجينى من العذاب.

ويضيف قائلا:

" يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا " أى يا هلاكى ويا حسرتى يا ليتنى لم أصاحب فلانا- ويسمى صاحبه - " لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي " لقد أضلنى عن طريق الهدى والإيمان بعد أن اهتديت وآمنت، " وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا " فالشيطان سواء كان من شياطين الإنس أو الجن يضل الإنسان ويغويه ثم يتبرأ منه وقت البلاء فلا ينقذه ولا ينصره.

مواقف وحوارات فى أرض الحساب وردت فى الأحاديث النبوية:

عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (أول من يدعى يوم القيامة آدم فتراءى ذريته فيقال: هذا أبوكم آدم فيقول: لبيك وسعديك، فيقول: أخرج بعث جهنم من ذريتك فيقول: يا رب كم أخرج؟، فيقول: من كل مائة تسعة وتسعين، فقالوا يا رسول الله إذا أخذ منا من كل مائة تسعة وتسعون فماذا بقى منا؟ قال: إن أمتى فى الأمم كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود) (٢٨) .

عن فضل الحب فى الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يقول الله يوم القيامة: أين المتحابون بجلالى؟ اليوم أظلهم يوم لا ظل إلا ظلى) (٢٩).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت ولم تعدني قال: يا رب، وكيف أعودك وأنت رب العالمين؟

قال: أما علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتنى عنده؟

يا ابن آدم، استطعمتك فلم تطعمنى، قال: يا رب، وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟

قال: أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى؟

يا ابن آدم، استسقيتك، فلم تسقنى؟ قال: يا رب، وكيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟

قال: استسقاك عبدى فلان فلم تسقه، أما أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندى ؟) (٣٠) .

قال العلماء معنى وجدتنى عنده أى وجدت ثوابى ورحمتى عنده.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت؟، فيقول: نعم. فيقال لأمته: هل بلغكم ؟ فيقولون: ما أتانا من نذير فيقول: من يشهد لك فيقول: محمد وأمته).

فيشهدون أنه قد أبلغ، ويكون الرسول عليكم شهيدا فذلك قوله جل ذكره (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً) (٣١) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل أستشهد، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟، قال: قاتلت فيك حتى استشهدت

قال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جرئ فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه، حتى ألقى فـــى النار. ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيهـــا؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت القرآن قال: كذبت ولكنك تعلمت لأن يقال عالم، وقرأت القرآن ليقال قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه، حتى ألقى فى النار. ورجل وسع الله عليـــه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جـــواد، فقـــد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه، حتى ألقى فى النار) [٣٢].

المرور على الصراط

بانتهاء الحساب وفصل القضاء بين العباد يساق الكافرون والمشركون إلى جهنم، ويبقى الموحدون بالله سواء من الأمم السابقة أو من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بما فيهم من عصاه ومنافقين، وللمؤمنين يومئذ نور على قدر أعمالهم الصالحة، فمنهم من يكون نوره قويا شديدا ومنهم من يكون نوره على قدر إبهامه ومنهم لا نور لهم مثل المنافقين **قال تعالى** ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ التحريم: ٨.

ثم يؤذن فى نصب الصراط وهو جسر على جهنم للعبور عليه إلى الجنة، على جانبيه كلاليب لا يعلم قدر عظمها إلا الله عز وجل تخطف الناس بأعمالهم، ويبدأ المرور عليه، ويكون النبى صلى الله عليه وسلم وأمته أول من يمرون على الصراط ثم يتبعهم باقى الأمم، وكل فرد يرى على قدر النور الذى أعطاه الله له حسب عمله، وهنا نرى الذين آمنوا وعملوا، وقد أصبح كل منهم بمثابة مصدر يشع نورا أمامه وعن يمينه، وتناديهم الملائكة وتزف إليهم البشرى بالجنة، **قال تعالى** ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ الحديد:١٢.

حوار بين المنافقين والمؤمنين

" ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ "

قال تعالى ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا ۖ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَـٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَـٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾ [٣٣] الحديد:١٣-١٥.

لا يستطيع المنافقون والمنافقات أن يبصروا مواضع أقدامهم للمرور على الصراط فيقولون للذين آمنوا: " ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ " أى انتظرونا لنستضئ بنوركم، لان المؤمنين كما سبق القول قد أصبح كل منهم مصدر يشع نورا أمامه وعن يمينه. فيقول لهم المؤمنون سخرية واستهزاء بهم:

" ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا " أى ارجعوا إلى الدنيا فالتمسوا هذه الأنوار هناك. وهنا يقام حاجز أو سور له باب يفصل بين المؤمنين وبين المنافقين، حيث يكون باطن السور المواجه للمؤمنين فيه الرحمة، وظاهره فى الجهة المقابلة للمنافقين فيه العذاب.

وينادى المنافقون المؤمنين: " أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ " أى ألم نكن معكم فى الدنيا نصلى كما تصلون، ونصوم كما تصومون. فيقول لهم المؤمنون: " بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ " أى نعم كنتم معنا فى الظاهر ولكنكم أهلكتم أنفسكم بالنفاق، وانتظرتم بالمؤمنين الدوائر وشككتم فى أمر الدين، وخدعتكم الأمانى الفارغة بسعة رحمة الله حتى جاءكم الموت وخدعكم الشيطان بقوله إن الله غفور رحيم لا يعذبكم. ويضيف المؤمنون:

" فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ " أى فى هذا اليوم العصيب لا يقبل منكم بدل ولا عوض ومقامكم ومنزلكم نار جهنم.

ويمر المؤمنون علي الصراط، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وتختلف سرعة المارين على الصراط طبقا لأعمالهم، فمنهم من يمر بسرعة تماثل سرعة الضوء، ومنهم من يمر بسرعة الريح، ومنهم من يمر بسرعة الطير، وهكذا، حتى أن أخرهم الرجل الذى أعطى نوره على إبهام قدمه يحبوا على وجهه ويديه ورجليه يجر بيد ويعلق يد ويجر برجل ويعلق رجل وتضرب جوانبه النار حتى يخلص، ويتساقط المنافقون والعصاة فى النار حيث تتخطفهم كلاليب الصراط بأعمالهم.

عن أبى هريرة قال: قال أناس يا رسول الله: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: (هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله قال: هل تضارون فى القمر ليلة

البدر ليس دونه سحاب؟ قالوا لا يا رسول الله، قال: فأنكم ترونه يوم القيامة كذلك، يجمع الله الناس، فيقول: من كان يعبد شيئا فليتبعه. فيتبع من كان يعبد الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله فى غير الصورة التى يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا أتانا ربنا عرفناه فيأتيهم الله فى الصورة التى يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا ويضرب جسر جهنم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فأكون أول من يجيز، ودعاء الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وبه كلاليب مثل شوك السعدان، أما رأيتم شوك السعدان؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فأنها مثل شوك السعدان، غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله فتخطف الناس بأعمالهم: منهم الموبق بعمله، ومنهم المخردل ثم ينجو ... الحديث) [٣٤].

والحكمة فى مرور المؤمنين فوق الصراط هى أن مجرد رؤية المؤمنين لجهنم نعمة كبرى، فحين يرون العذاب الرهيب الذى أنجاهم الإيمان منه يدرك كل منهم مقدار نعمة الله عليه وفضله أن أنجاه من هذا العذاب **قال تعالى** ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ مريم: ٧١ – ٧٢.

والمارين على الصراط ثلاثة أصناف:

- ناج بلا خدش وهو من زادت حسناته على سيئاته أو استويا أو تجاوز الله عنه.
- الصنف الثانى الساقط من أول وهلة وهو من رجحت سيئاته على حسناته.
- والصنف الثالث متوسط بينهما تضرب جوانبه النار ثم ينجو.

ويبين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه موقف الذين عبروا الصراط ونجوا من السقوط فى النار بقوله (يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة. فو الذى نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله فى الجنة منه بمنزله كان فى الدنيا) [٣٥].

الحـــوض

للنبى صلى الله عليه وسلم فى أرض الحساب حوض ماء كبير متسع، متباعـد الجوانـب يأتيه الماء من نهر داخل الجنة وهو الكوثر، ماء هذا الحوض أشد بياضا من اللـبن ورائحتـه أطيب من رائحة المسك وعنده أباريق كعدد نجوم السماء، من شرب منه لا يظمأ بعده أبدا، قال النبى صلى الله عليه وسلم (حوضى مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحـه أطيـب مـن المسك وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منه لا يظمأ أبدا) [٣٦].

وعندما يشتد العطش بالناس، ويقترب المسلمون من الحوض ليشربوا نجد الملائكة تجذب بعضا منهم وتدفعهم بعيدا عنه فيقول صلى الله عليه وسلم يا رب أصحابى فيقال له إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك، قال النبى صلى الله عليه وسلم (إنى فرطكم على الحوض: من مر على شـرب ومن شرب لم يظمأ أبدا. ليردن على أقوام أعرفهم ويعرفونى، ثم يحال بينى وبيـنهم. فـأقول: أنهم منى. فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك. فأقول: سحقا سحقا لمن غير بعدى)[٣٧].

وعن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت: (قال النبى صلى الله عليه وسـلم: إنـى على الحوض حتى انظر من يرد على منكم، وسيؤخذ ناس دونى، فأقول: يا رب منى ومن أمتى فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك؟ والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم) [٣٨].

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال (سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشـفع لى يوم القيامة فقال: أنا فاعل إن شاء الله، قلت: فأين أطلبك؟ قـال: أول مـا تطلبنـى علـى الصراط، قلت: فإن لم ألقاك على الصراط؟ قال: فطلبنى عند الميزان، قلت: فإن لم ألقـاك عنـد الميزان؟ قال: فطلبنى عند الحوض، فإنى لا أخطئ هذه الثلاث مواطن) [٣٩] .

أصحاب الأعراف

توزن أعمال العباد يوم القيامة بميزان العدل الإلهى، فمن رجحت حسناتهم على سيئاتهم دخلوا الجنة، ومن رجحت سيئاتهم على حسناتهم دخلوا النار، **قال تعالى** ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٩ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝١٠ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٢ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١٣ ﴾ القارعة: ٦-١١ ولكن من تساوت حسناتهم مع سيئاتهم هؤلاء هم أصحاب الأعراف فلم تثقل موازينهم فيدخلون الجنة ولم تخف موازينهم فيدخلون النار. هؤلاء القوم يحبسون على سور مرتفع بين الجنة والنار حتى يقضى الله سبحانه فيهم، وهو السور الذى ذكره سبحانه وتعالى فى قوله ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ الحديد: ١٣. وأصحاب الأعراف يعرفون كلا من أصحاب الجنة وأصحاب النار بسيماهم أو بعلامتهم التى ميزهم الله بها فمثلا أصحاب الجنة بيض الوجوه يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم وأصحاب النار سود الوجوه ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝١٠٦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١٠٧ ﴾ آل عمران:١٠٦-١٠٧ ويدور بينهم وبين كل من أصحاب الجنة وأصحاب النار هذا الحوار:

قال تعالى ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ۝٤٦ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٧ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ۝٤٨ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ۝٤٩ ﴾[٤١] الأعراف: ٤٦-٤٩.

حين يشاهد أصحاب الأعراف أهل الجنة يتنعمون يحيونهم: " أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ " وهى تحية أهل الجنة لبعضهم البعض، ولكن على الرغم من أن أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة بعد، لكنهم يطمعون فى دخولها برحمة الله وفضله " لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ". وأكثر

أحوالهم النظر إلى أهل الجنة، ولكن حين يجبرون على النظر إلى أصحاب النار ويشاهدون ما عليه أهل النار من العذاب يستغيثون بربهم من أن يجعلهم معهم قائلين: " رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ".

وينادى أصحاب الأعراف رجالا من أهل النار يعرفونهم كانوا يظنون أن قيادتهم لمجتمعهم وسيادتهم على غيرهم تعطيهم كل سلطان وكيان قائلين: " مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ " أى أن اجتماعكم على الضلال فى الدنيا واستكباركم على الدعوة إلى الإيمان لم ينفعكم بشىء ولم يغن عنكم شيئا.

ويشير أهل الأعراف إلى المؤمنين الصادقين قائلين: " أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ؟ " أى أهؤلاء المؤمنون الضعفاء الذين كنتم فى الدنيا تسخرون منهم وتحلفون أن الله لا يدخلهم الجنة؟ والاستفهام هنا الغرض منه توبيخ أهل النار. ويقولون لأهل الجنة:

" ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ " أى تمتعوا فى الجنة إلى الأبد غير خائفين ولا محزونين على أكمل سرور وأتم كرامة.

۞ الهـــوامش ۞

(١) تفسير الآيات فى صفوة التفاسير للصابونى ج٣ص ٩٧.
(٢) تفسير الشعراوى ج٦ ص ٣٤٥٠- ٣٤٥١.
(٣) تفسير الشعراوى ج٦ ص ٣٤٥٢- ٣٤٥٣.
(٤) تفسير الآيات فى صفوة التفاسير للصابونى ج٣ ص ٢١-٢٢.
(٥) تفسير الآيات فى صفوة التفاسير للصابونى ج١ ص ٤١٨-٤١٩.
(٦) تفسير الآيات فى صفوة التفاسير للصابونى ج١ ص ٤١٩.
(٧) تفسير الآيات فى صفوة التفاسير للصابونى ج٢ ص ٤٢٠.
(٨) تفسير الآيات فى صفوة التفاسير للصابونى ج١ ص ٤٠٦.
(٩) تفسير الآيات فى صفوة التفاسير للصابونى ج٢ ص ١٠.
(١٠) تفسير الآيات فى صفوة التفاسير للصابونى ج٢ ص ٥٠٣.
(١١) تفسير الآيات فى صفوة التفاسير للصابونى ج١ ص ٤٥٠.
(١٢) تفسير الآيات فى صفوة التفاسير للصابونى ج٢ ص ٤٤١.
(١٣) تفسير الآيات فى صفوة التفاسير للصابونى ج٢ ص ١٩٥.
(١٤) تفسير الآيات فى صفوة التفاسير للصابونى ج١ ص ٣٨٤.
(١٥) تفسير الآيات فى صفوة التفاسير للصابونى ج٢ ص ٤٤٥.
(١٦) تفسير الآيات فى صفوة التفاسير للصابونى ج٢ ص ١٢٣ .
(١٧) تفسير الآيات فى صفوة التفاسير للصابونى ج٢ ص ١٣٨ .
(١٨) تفسير الآيات فى صفوة التفاسير للصابونى ج١ ص ٥٨٢.
(١٩) تفسير الآيات فى صفوة التفاسير للصابونى ج٢ ص ٣٥٧.
(٢٠) تفسير الآيات فى صفوة التفاسير للصابونى ج٢ ص ٥٥٨.
(٢١) تفسير الآيات فى صفوة التفاسير للصابونى ج٣ ص ٤٣٠.
(٢٢) متفق عليه البخارى رقم (٤٩١٩) كتاب التفسير، باب يوم يكشف عن ساق (يكشف عن ساقه).
(٢٣) تفسير الآيات فى صفوة التفاسير للصابونى ج٢ ص ٥٥٢.
(٢٤) تفسير الآيات فى صفوة التفاسير للصابونى ج٢ ص ٩٥.
(٢٥) تفسير الآيات فى صفوة التفاسير للصابونى ج٣ ص ٣١.
(٢٦) تفسير الآيات فى صفوة التفاسير للصابونى ج٣ ص ١٥٨.
(٢٧) تفسير الآيات فى صفوة التفاسير للصابونى ج ٢ ص ٣٦١.

obeikandl.com

(٢٨) متفق عليه أخرجه البخارى رقم (٦٥٢٩) فى كتاب الرقاق باب الحشر.

(٢٩) صحيح مسلم بشرح النووى ج١٦ ص١٢٣ فى البر والصلة، باب فضل الحب فى الله تعالى.

(٣٠) صحيح مسلم بشرح النووى ج١٦ ص١٢٥ باب فضل عيادة المريض كتاب البر والصلة.

(٣١) البخارى رقم (٤٤٨٧) فى كتاب التفسير، باب وكذلك جعلناكم أمة وسطا.

(٣٢) صحيح مسلم بشرح النووى ج١٣ ص٥٠ فى الجهاد باب من قاتل للرياء والسمعة وأستحق النار.

(٣٣) سورة الحديد: ١٣- ١٥، تفسير الآيات فى صفوة التفاسير للصابونى ج٣ ص٣٢٤.

(٣٤) متفق عليه أخرجه البخارى (٦٥٧٣) فى كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم.

(٣٥) أخرجه البخارى حديث رقم (٦٥٣٥) فى الرقاق، باب القصاص يوم القيامة.

(٣٦) أخرجه البخارى حديث (٦٥٧٩) فى كتاب الرقاق، باب الحوض.

(٣٧) أخرجه البخارى حديث (٦٥٨٣- ٦٥٨٤) فى كتاب الرقاق، باب الحوض.

(٣٨) أخرجه البخارى حديث (٦٥٩٣) فى كتاب الرقاق، باب الحوض.

(٣٩) جامع الأصول فى أحاديث الرسول ج١٠ ص ٤٧٣، أخرجه الترمذى رقم ٢٤٣ فى صفة القيامة باب ما جاء فى شأن الصراط، وإسناده حسن.

(٤٠) تفسير الآيات فى صفوة التفاسير للصابونى ج١ ص٤٤٧.

obeikandl.com